المدخل

الى علم الحيوان

للاب أنستاس ماري الكرملي

— ٢ —

٨ — ﴿ الملاحظة السابعة : ما يظهر هذا الدرس من الفوائد ﴾ الآن نذكر بعض الألفاظ التي اهتدينا الى معانيها ، عند الرجوع الى معرفة أصولها . ومن غريب ما اتفق لنا الاهتداء اليه : (العيقب) و(العيقوبة) ، سمعناها في جبل لبنان ، بجوار بيروت . فمنهم من أطلقهما على الطائر المسمّى كوكو ، ومنهم من أطلقهما على المسمى بُومًا أو ضربًا منهُ ، وقد وجدنا في اليونانية Kikubos تدل على طائرين : الأول هو ضرب من البوم اسمهُ بالفرنسية Chat-Huant وبلسان العلم Syrnium ، وعلى المسمى كوكو ، أي Cuculus والكلمتان العربيتان من كلام عوام أهل لبنان ولم نجدهما في كتاب عربي يوثق بعربيته . ولا جرم ان هذين اللفظين يوزنيهما العربيين وصلا الى أبناء لبنان من عهد يونان وهذا من أجلّ غرائب بقايا اللغات الندثرة

ومما اهتدينا اليه بفضل معرفة أصلهِ (العَقْعَد) بفتح العين واسكان القاف وفي الآخر دال ، قال في التاج واللسان : العقد (بالصيغ الذي ذكرناه) الحمام بعينه ، أو طائر يشبهه والجمع عقعدان . اه . والصواب انه طائر يشبه الحمام كل الشبه ، ولولا طول ذنبه لظنه الناس حمامًا . أما الحقيقة فانهُ المسمى في لسان العلم بـ Storna والكلمة يونانية من Apous-Apodos أي بلا رجلين ، لانه سريع الطيران ولا يكاد يرى واقفًا إلا في الشدة وينظنه الناظر حمامًا في هيئته

وقد عرفنا معنى العرناس الذي يقول فيه اللغويون ، ولاسيما اللَّيث في كتاب العين العرناس كقرطاس هو طائر لا يشبع به حتى يطير من تحت قدميك . فيلزعك كالعُرنوس بالضم . فهذا كلام فضفاض لا يُستفاد منهُ شيء . أو ما تحتهُ من المعنى ، إذ يدل على ان كل من يمشي في داره . أو في أرضه يشعر بطائر يطير من تحت قدميه . فهذا كلام بيّن على ان هذا الطائر غير معيّن الجنس ، ويكون في أغلب البيوت . ويشمل كل ما كان

ذا جناحين ، وأليف انكان أيّا كان نوعهُ ، أو جنسه ، فهو المسمى بالفرنسية Volaille وبالانكليزية Poultry فهو من اليونانية Ornis مبنيٌ ومعنى ، واذا تقصّرت في كتب متون اللغة الافرنجية الى العربية لا تجد من ذكر هذه اللفظة العربية مقابلاً للفظة الاعجمية ، فالظاهر أنهم لم يهتدوا اليها . كما انك لا تجد في المعاجم العربية من بيّن هذا المعنى بياناً واضحاً جليّاً ، مصوراً لك الحقيقة كما هي . فهذا تقطع درس الالفاظ الضادية الاستعمال ، والبحث عن أصولها الاولى

ومن أسماء الطير التي اهتدينا اليها الشَرْق «قال شمر : الشرق طائر بين الحدأة والصقر وفي العُقاب : والشاهين ، ولونهُ أسود . قال شمر : وأنشد اعرابي في مجلس ابن الاعرابي :

انتفجي يا أرنب القيعان وابشري بالضرب والهوان
أو ضربة من شرق شاهان

وهكذا فسّره وجمعهُ شُرُوق ، وهو من سباع الطير . قال الراجز :

قد اغتدى والصبح ذو بريق بملحم احمر سوذنيق
أجدل أو شرق من الشروق

انتهى نقلهُ عن تاج العروس بحروفه

والكلمة من اليونانية Kirkos بمعناهُ . وهي مفتوحة الاول في العربية مكسورته في اليونانية ، ولا عبرة في الحركات عند التعريب . فالقنديل مفتوح الاول في العبرية ، وهو مكسورهُ في العربية . والقنديل مفتوح الاول في اللاتينية وهو مكسورهُ في العربية . والشَطرنج مفتوح الاول في الفارسية ، مكسوره في لغتنا وهكذا الى ما لا نهاية لهُ

والعراقيون يعرفون (الخَرب) ككتف . وينسبون اليهِ حكايات شتّى ، هي أقرب الى الخرافات منها الى الحقائق . وأما كتب اللغة فتذكر الخَرَب وزان السَبَب ، وهو ذكر الحبارى . وقيل هو الحبارى كلها ، ذكراً كان أو أنثى . وهو لفظ ينظر الى اليونانية Arpé وقد قال عليه تومسن في كتابهِ A Glossary of Greek Birds الطيور اليونانية ، [illegible] انا ان هذا الطائر مجهول أو خُرافة ، وهو عدوُّ النورس ، وصديق الحدأة . وقد سمعت مثل هذا القول في بغداد [illegible] . ولا يزال العرب النازلون على دجلة والفرات يروون مختلف الروايات عن خصوص الخرب ، وكل واحد يروي حكاية تختلف عن رواية صاحبه ، ولو يجمع ما سمع منهم لتقوم من ذلك رسالة ظريفة

ونحن لا نريد أن نمن في ذكر ما نشر نا به من التحقيقات العجيبة ، عند البحث عن الالفاظ العلمية ، التي حققنا أعيانها بهذه الطريقة ، فهذا أمرٌ لا يتم إلاّ في صفحات عدة بل في مجلد ضخم ، فاجزأنا بما ذكرنا

٩ — ﴿ الملاحظة الثامنة : لا يكتفي بعضهم بالمعرَّب بل يشوّهه ﴾ لا يجتزىء بعضهم بالمعرب ، بل قد يشوّههُ ، فيبتعد المصحَّف عن الاصل ، ويتيه الباحث في موضوعه فيضل الطريق . هذه (القُوقُنُس) أو (القُقُنُس) (بقافين) فهي تعريب اليونانية Kykuns فمنهم من أبقاها على ما هي ، ومنهم من ذكرها بصورٍ أخرى ، مثل : (قُقْنوس) و (قُوقَنُوس) . وهناك من اختلف في ضبط هذه المعربات الاربعة . ومنهم من جعل القاف الاولى فاء . ومنهم من عكس الامر

وجاء من حذف من (القوقنس) النون والسين فقال (القوق) ومنهم من جعل القاف الأولى فاء فقال (الفُوق) والمعنى باقٍ على حاله ، وذكرها كثيرون من لغوينا العرب ، وبينهم صاحب لسان العرب ، وتاج العروس ، ، والدميريّ في حياة الحيوان ، وصاحب العباب أي الصاغاني . وغيرهم من اللغويين المحدثين بصور شتى ، ومن أراد التفاصيل في هذا الموضوع فليراجع مقالة العلامة كرلو نلّينو المستشرق الايطالي المدرجة في مجلة المجمع العلمي العربيّ (١٠ : ٧٥ وما يليها) . ونقول مثل ذلك على الطائر الخرافي المسمى (فُينِقس) Phoinix فقد نقل الى (فَقَنُس) و (قَفَنُس) والى تصحيفات لا تُحْصَى وقد تكلمنا على هذا الاسم في مجلة الثقافة ٢ : ٩٩٧ وظنهُ بعضهم (القُوقُنُس) نفسه ، فهذا خطأ على خطأ ، اذ لم يميزوا بين الطائر الحقيقي والطائر الخرافي . ثم زادوه تصحيفاً ان سماه بعضهم (القرقيس) كما فعل القزويني وسماه ابن الفقيه (نحس) فأين هذه المصحَّفات من الحقيقة الخالية من كل تصحيف

﴿ ١٠ — الملاحظة التاسعة : يجب ان لا تنقل اسماء الحيوان العربية عن المستشرقين الاّ بتحفظ عظيم ﴾ . ليس المستشرقون في درجة واحدة من العلم ، والتحقيق ، والاتقان في اللغة ، فمنهم من هم من الدرجة العليا . ومنهم من هم من الدرجة السفلى ، ومنهم من هم بين حائين الدرجتين . ونرى كثيرين من الكتاب المعاصرين ينقلون عن الغربيين بدون أدنى تحفظ ، ولا تورع ، كل ما يجدونه من الالفاظ ، والاوضاع ، التي يدوّنونها سمعاً عن بعض عوام ديار الشرق ، فينقلون الينا من الأوهام ما لا يخطر لبشر ولو في الحلم . ونحن نذكر لك بعض الشواهد :

في مستنقعات العراق مالك حزين ، ارجوانيّ اللون اسمه (رُكَيْوِيّ) بضم الراء وفتح الكاف ، وتسكين الياء ، يليها واو مكسورة فياء مشددة . وهي تصغير الى الركوة ، مصغر الرَّكْوَة (بتثليث الراء) وهي رقعة تكون تحت العواصر ، تكون حمراء دائماً . وحمرتها معروفة ، وحمرة هذا الطائر تشبهها . ومن ذلك اسمه . وقد سمع هذا الاسم (جيزمن)

ورفاقه فكتبوها (ارخياوي) لانهم لا يستطيعون تمييز الحروف العربية بعضها من بعض، فنقلها احد كتّاب هذا العصر ، بهذه الصورة ولم يتمكن من ان يعرف ان مثل هذا اللفظ لا ينطق به عراقي خلوه من مبنى عربي ، ومن معنى فصيح

ودونك شاهداً آخر يسطو على زرع العراق في بعض السنين ضرب من القمل (وهو هوامّ تتلف الزرع وتفنيه) ، يشبه بعضهم الرُّقيقة ، تصغير الراقة ، وهي السلحفاة وسميت كذلك لشابهتها لهذه الدابة المائية ويلفظونها باسكان الراء ولفظ القافين كافين معقودتين اي Rgegué ويلفظها البعض الآخر (رَكيجة) اي Rgejé فأخذ بعض الكتّاب يكتبونها (اوكيجة) بالف في الاول ، لظنهم ان الالفاظ الصادية لا تبتدىء بالساكن بل بهمزة وصل . وزاد آخرون ان قلبوا الهمزة عيناً ، وكتبوها (عركيجة) وهكذا كتبها الانكليز والهنود من علماء الحشرات ، وطبعوها بهذا التشويه . ولم يهمهم الأتحقيق اللفظ ثم نقلها عنها العراقيون انفسهم ، من أرباب الصحف ومؤلفي الكتب المسنفة في موضوع حشرات العراق الضارّة . فنشرنا مقالة طويلة في مجلة غرفة تجارة بغداد (٥ : ١٤١ الى ١٥٠) بيّنا فيها تحقيق اسم هذه القمّلة ومترادفاتها ، وكل ما يتعلق بها وأن اسمها العلمي هو Eurygaster

وعندنا من هذه الشواهد ما يقع في كتاب ضخم قائم بنفسه ، فحسبنا التذكير

﴿ ١١ الملاحظة العاشرة : في لغتنا عدة الفاظ تفيد عدة حيوانات فلا يجوز ، حصرها في حيوان واحد ﴾ يرى الأدباء المشتغلون بعلم الحيوان ان في لغتنا كلمة واحدة تدل على عدة حيوانات يختلف بعضها عن بعض . وهو امر لا يرى في سائر اللغى ولما كان بعض المشتغلين بعلم الحيوان ، ممن درسوه في الديار الاجنبية ، ولغاتهم الخاصة بهم ، لا يرون مثل هذه الاوضاع ، يحاولون ان يسيروا بالعربية كما يسير الاجانب بلغاتهم ومصطلحاتهم ، وفي ادباؤنا ان مزايا لساننا غير مزايا ألسنتهم ، وان لغتنا هي مجموع لغى عدة قبائل ، فقد تدل الكلمة الواحدة على حيوان في قبيلة ، وتدل على حيوان آخر في قبيلة اخرى . وقد تتفق جميع القبائل على حيوان واحد بلفظ واحد وقد يختلف المدلول حتى ليدل على حيوانين أو ثلاثة أو اكثر فيكون من الخطأ توحيد بحث المعاني ، ومن الخطأ ايضاً ان يقال : ان القبيلة الواحدة وضعت للفظ الواحد ، يدل على حيوانين في وقت واحد ، أو ثلاثة أو اربعة أو أكثر من ذلك . والذي سبّب هذا التشويش والارتباك ان اللغويين لم يلتفتوا في دواوينهم اسم القبيلة التي كانت تستعمل اللفظ الثلاثي بالمعنى الفلاني ، بينما العاقل يهتدي بسهولة الى اختلاف المعاني باختلاف القبائل التي تستعمل الكلمة الواحدة لفظاً واحداً ، لتدلّ به على حيوانات مختلفة . ونحن نذكر هنا بعض تلك الالفاظ ، راجع ما كتبناه في الملاحظة الثانية

﴿ ١٢ الملاحظة الحادية عشرة : قد تعرب الكلمة الدخيلة بصور شتى ﴾ قد تعرب الكلمة

الدخيلة بأوجه شتى. إما لان الواحد يجهل ما وضعه من سبقه ، واما لأن الواحد لا يستحسن ما وضعه من سبقه ، أو لان الكلمة التي وضعها من سبقه تخالف بعض الاصول العربية في احكامها

فقد عرّب بعضهم اليونانية اوقيانوس Okeanos بصورتها الاصلية أي (اوقيانوس) ، وربما قالوا بحر اوقيانوس . قال القزويني : « ان البحر الذي في مغرب المعمورة ، على ساحل بحر الاندلس ، يسمى البحر المحيط ، ويسميه اليونانيون اوقيانوس » وقد سماه بعض السلف بحر اوقيانوس . ومعنى الاوقيانوس المحيط قال صاحب تاج العروس في مادة (ك ب ر ت) نقلاً عن القزويني « . . . الكبريت الاصفر ، وانه معدنه في المغرب في موضع يقرب بحر اوقيانوس » . وقد اختلف الكتاب في رسم هذه الكلمة العربية فجاءت بصور مختلفة مثل : الاوقيانوس ، والأقيانوس ، والاوقيانس ، والاوقيس ، والاقيانس ، والقيس (كزيتب) وقد وردت في كتاب قصص الانبياء لمحمد بن عبد الله الكسائي طبع ليدن سنة ١٩٢٢ ص ٩ ، وهذه عبارته : « ثم خلق الله سبعة أبحر ، فأولها اسمه بيطش ، وهو المحيط بالارض ، من وراء جبل قاف ؛ ومن ورائه بحر اسمه الاصم ، ومن ورائه بحر اسمهُ قَيْنَس» اه — والقاموس كما هو مذكور في جميع كتب اللغة . والافريدوس . ذكره البستاني في محيط المحيط في مادة (ف ر د س) ، وهذه عبارته : أفريدوس ، اسم البحر السابع المحيط بالأرض ، او هو تحريف الاوقيانوس . » اه — ولم يذكر المصدر الذي نقل عنه ، وهو منقول عن فريتغ ، وهو مورده الأعظم . وفريتغ يقول انهُ نقله عن دساسي De Sacy في ٢ : ٢٥٣ . وهذان المستشرقان لم يضبطا الكلمة . والنقيد من العلم بطرس البستاني وجاء فيه في كتاب عجائب البلدان وهو لعلي بن عيسى وهو من مخطوطات خزانتنا هو « بحر محيط بالارض ، الا ان السفن لا تجري فيه ، لان حواشي الارض مكتوفة هناك كف الثياب » (كذا) . وعقيون قال في القاموس : وعقيون كصهيون : بحر من ورائه تحت العرش فيه ملائكة من ريح ، معهم رماح من ريح ، ناظرين الى العرش ، تسبيحهم سبحان ربنا الأعلى

١٣ — ﴿ اللاحظة الثانية عشرة : كيفية تعريب الكلمة الاجنبية ﴾ في جميع لغات الدنيا تزى كلم ممدودة ومقصورة ، أي فيها حروف علة ممدودة . وفيها حروف علة غير ممدودة . وقد وضع علماء اللغة السامية علامات لذلك حفظاً للعلامة بلفظ من يتكلمونه . وكان السابقون الى ذلك علماء اللغة العبرية ، فالارمية ، فالعربية ، فالى غيرها . أما علماء اللغى اليافثية : فانهم لم يضعوا مصطلحات لها . وهم يتلقونها عن سبقهم ، وذلك نطقاً لا رسماً ، كاللغات القديمة من لاتينية ويونانية ، وسكسونية . وأما أوربا للالسنة الحديثة . كالايطالية والفرنسية ، والاسبانية ، والانكليزية فانهم جاروا أصحاب اللغى القديمة ، لكنهم حاولوا وضع بعض العلامات . بيد انها لم تعم البلاد ، ولا العباد . فيقولون تلك الاصوات من

باب الأخذ ، والسماع ، والتقليد لا من باب التقييد والتدوين . واذا كان الامر كذلك ، فلا يحسن بمن ينقل الكلمة الافرنجية الى العربية ، ان ينقلها بحروفها كلها ، بل يراعي حروف المدّ ، وحروف القصر في الكلمة ، فيرسم (الممدودة بأحرف علة) و (غير الممدودة بالحركات) ، لوجود هذه العلامات عندنا وخلوها من سائر الالسنة كما ألمعنا اليه . فيجب اذن ان يرسم الكردنال والاسقف والمطران ، والبطرك ، كما رسمناها هنا ، لا كما يفعل بعضهم فيكتبها : كاردينال ، وأيبسقوبوس ، ومتروبوليتانوس ، وباطرياركوس ، الى نظائرها المخالفة لاصول النقل الى العربية . وهكذا يقال في علم الحيوان والنبات والجماد . فان كُتّاب هذا العصر ، من نقلة الالفاظ الافرنجية ، جاؤونا بمصطلحات تنوء بها الجبال لثقلها ، وتنفر منها الطباع[1]

١٤ — ﴿ لا يحق للشعوبية أن ينسبوا القصور الى العربية ﴾ كنت أسمع — وأنا صغير — ان بعض الذين تلقوا العلوم والآداب في المدارس الاجنبية ، كانوا يقولون ان العربية لا تؤدي الرسالة العلمية التي تؤديها سائر اللغى الاجنبية . وهؤلاء الناس هم شعوبية يكرهون كل ما يتعلق بالعرب . ولو أنصفوا الجاروا المستشرقين المعاصرين الذين ينعجبون من ان اللغة المضرية أدّت خدماً عظيمة لا توصف في العصر العباسي — الذي يسميه بعضهم القرون الوسطى ، فان علماء ذلك العهد ، عالجوا جميع العلوم ، والفنون ، والصنائع ، حتى انهم لم يتركوا كتاباً يونانيًّا علميًّا الاّ نقلوه الى لغتنا الضادية ، لا بل وضعوا بعض المصطلحات في البلاغة ، والفصاحة ، والبيان ، والتصوّف ، وعلم الكلام ، والفقه ومختلف الصنائع لم يتمكن الى الآن علماء الغرب من وضع مجانسات لها في أممهم . فهل يقال بعد هذا العربية مقصّرة في أداء واجباتها ؟ —

زد على ذلك ان في اوضاع العرب ، ما لم يكن يظن انها في لغة مُضر . انظر كيف انك تجد فيها اسم (البَغْبَغ) وهو ألباك Ybok قبل ان عرفه اهل الغرب . وتكلموا كلاماً طويلاً على البوم Kukuos قبل ان تطلق الغربيون لسانهم على هذا الطائر . وقد وصفوا الهيدهد وهو الطائر المسمى بالكناري عند بعضهم ، قبل ان يضع له الافرنج كلمتهم المأخوذة من اسم جزيرة الكناريات . ونحن لا نريد ان نطول نفسنا في هذا الموضوع اكثر من هذا لانا نكون قد تكلمنا في بحث نضيق فيه الصدور على غير جدوى

هذا ما أردنا تبيانه والبحث طويل ذو شجون ، فاكتفينا بهذا القدر

(١) أشار الاب الكرملي الى وضع حروف عربية وعلامات شبيهة جديدة للحروف الغربية لتصدرت تجربة بعض الرسوم المقترحة لطبع